

هل نكذب على الله!؟

الشيخ الدكتور محمد ياسر القضماني

قال الإمام سفيان الثوري - رحمه الله - في قوله تعالى : **(ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة)** (سورة الزمر- الآية ٦٠) ، قال: هم الذين ادَّعوا محبة الله تعالى، ولم يكونوا بها صادقين.¹

وقفت على هذا فقلت في نفسي واخجلتاه!!

إي والله واخجلتاه!!

نحن الذين ندعي محبة الله آناء الليل وأطراف النهار، ونتزيّا بزَيِّ الصالحين، لا بل بزَيِّ الأختيار الأبرار من المقربين، حتى إذا ما خلونا مع الله بارزناه بالمعصية وانقلب زَيُّ الصالحين إلى حال الطالحين، ولبوس الأختيار والأبرار إلى أشرار وفجار.

ألا نستحي من الله الذي جملنا بستره، وأكرمنا بعفوه، أن ندوم على هذا الحال، ونتجرأ على هذا اللبوس!؟

والجزاء من جنس العمل!

فمن لبس لباس زور متصنعاً بالصالح، وبمسالك أهل الهداية، سيفضح فضيحة تُزري به في المحشر على رؤوس الأشهاد.

تعالوا ! انظروا ! هذا الذي كان يكذب عليكم، إنه في الحقيقة يكذب عليّ! أهكذا حُيِّل إليه أنه هيّن، وأنه يمضي دون عقاب!؟ لا.

لا أشنأ ولا أبغض ولا أقبح ولا أسوأ عندي من الكذب!!!

وإذا كان كَذِبُ مخلوقٍ على مخلوقٍ بعيد عن شيم المؤمنين، وخلال الصالحين؛ فكيف بالكذب على ربِّ العالمين!؟

ويأتي بعده الكذب على سيد المرسلين!

عجيبٌ هذا ! فكيف يكون الكذب على الله ورسوله!؟

أنا أقول لكم:

يَدْعِي محبة الله ورسوله ، ثم لا يَفِي بحق هذه المحبة، ولا يقوم بواجب الخدمة لهذه المِلَّة !
إن الانتهاض لأمر هذا الدين، وشرع سيد المرسلين دعوةً وغيرةً له تبعات وكُلْفة، وعلى من انتسب
أن يُحسّن الأدب، فالاعتباط في هذا الارتباط، وكشف الحجاب عن طريق هذا الباب، وعظيم هذا
الجناب.

حنائيكم الدعاوى إن لم يكن لها ما يدل عليها، ويرشد إليها، مخازٍ مشؤومات وعورات مفضوحات
في هذه الدنيا وبعد الممات.

ويحك تدعي محبة الله!؟

محبة الله الصادقة أطارت النوم من أعين الصادقين قبلنا !

محبة الله الصادقة أفلقتهم، وقلبتهم وشعلتهم وأقامتهم وأعدتكم !

محبة الله عند الصادقين أخرجتهم من بيوتهم لإرشاد العباد إلى ربهم ، ودلالتهم عليه.

محبة الله عند الصادقين حملتهم على بذل الأموال وترك العيال، في سبيل إرضاء ذي الجلال.

محبة الله عند الصادقين هيّجتهم للدفاع عن الحمى حين حلول عدوان، أو استبداد طغيان.

محبة الله عند الصادقين ألهبتهم للقيام في جوف الليل متهجدين متبتلين بكائين على خطاياهم لا
على دنياهم المنتقصة ، وحظوظهم المستلبة.

ما كانوا ليؤثرون على ربهم أحداً !

رجاؤهم الأوحد رضا الواحد الأحد.

وغاية المنى والمرام أن يزول العمى عن الأنام، وأن يدخلوا في دوائر الموحّدين، من عباد الله المكرمين.

فيا هناء الصادقين، فيا هناء الصادقين، فيا هناء الصادقين.

^١ انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ١٤٦/٥